

ضرورة تحقيق التفاهل

بين الفكر العربي والفكر الأوربي

مع توحيد المصطلح الجامعي كإعادة النظر في الجمع العربي

الدكتور صفاء خلوصي

كلية التربية (بغداد)

هذه التفاهات الطائفة التي تبذلها الدول العربية من العملات الأجنبية الصعبة وغير الصعبة تنفق على سفارة ثقافية عربية نشيطة واحدة في أوربا وأخرى في أمريكا على أن تؤلف من عناصر كثافة لا تعين على أسس غير أسس الجدارة والاستحقاق .

2 — أما في خصوص المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية فاني أعتقد أنني أجبت في السؤال الأول على جانب من هذا السؤال ، ولكنني أضيف هنا إلى ما ذكرت أن من جملة المشكلات التي تعترض سير العربية هي مشكلة تعقيد «النحو العربي» الذي يثبط عزيمه الكثيرين من المبتدئين — ولا سيما الأوربيين — الذين يحاولون تعلم العربية ، وقد تمت شخصيا بوضع طريقة جديدة لحل هذه المعضلة في ما أسميته « بالنحو المنطقي » الذي نشرت خلاصة خطوطه المعريضة في مجلة الأستاذ التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، وبوسعي أن أضع كتبنا جديدة في النحو العربي على الأسس المذكورة في المقال، لنشرها في العالم أجمع ، لتكون في متناول العرب وغير العرب ممن يرومون أن يهرونا شفاههم على موسيقى اللغة العربية الساحرة ، وبإمكاننا أن نترجم كتب النحو المنطقي هذه إلى شتى لغات العالم لكيلا تبقى حجة لأولئك الذين يقولون بأنهم يحجمون عن تعلم العربية لصعوبة قواعد لغتها .

3 — أن اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ، وقد مارست التدريس بها لربع قرن في جامعة لندن وبييل وبغداد فلم أجد مصاعب ذات بال تعترض سبيلي ، ولم أجد فكرة عبرت عنها بلغة أجنبية وعجزت العربية عن التعبير بها بنفس المرونة والقوة فاللغة العربية مطواعة دقيقة وهي في نظري

1 — اللغة رهينة بالاضاع السياسية ، نعمتي كانت الأمة قوية عظيمة متحدة زاد الإقبال على لغتها وأدبها فالمشكلة الأولى مشكلة سياسية ، أما المشكلة الثانية فتتعلق بعدم الدعاية للغتنا ، ففي فترة تصيرة استطاع اليهود إحياء اللغة العبرية ، الميتة وبعثها من جديد ، فأخذت تنافس لغتنا التي ازدهرت عبر عصور طوال سحيقة ، وذلك في الكليات والجامعات الأوروبية والأميركية التي تقوم بتدريس اللغات الشرقية وفي مراكز تدريس الأدب المقارن في شتى أرجاء العالم ، ولقد كان بإمكاننا أن نفتتح مدارس لتدريس العربية في مختلف بقاع الدنيا لنشر الثقافة العربية على نحو مايفعل المجلس الثقافي البريطاني British Council والمؤسسات الثقافية الفرنسية والروسية مثلا، وقدمرت فترة كانت فيها الباكستان تفكر في جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية لأنها لغة الدين الإسلامي السذي قامت على أساسه دولتهم ، فلم تحرك ساكنا ولم تقدم يد المعونة والتشجيع فافلتت الفرصة من أيدينا. أما الحروف العربية فليست بمشكلة على ما يزعم كثير من المنتنعين المتمسكين بالقشور ، بل أنني أعتقد أن الحروف العربية يجب أن تكون سببا مهما من أسباب انتشار اللغة العربية ، وذلك لجمالها وفراط أعجاب الأوربيين بها وكونها ضربا من ضروب الاختزال الذي يقبل على تعلمه الكثيرون في بلاد الغرب .

أن الدعاية الأدبية هي وحدها التي تنقصنا . أما مؤسساتنا الثقافية في الخارج فهي ككثير من سفاراتنا العربية مع الأسف ضعيفة في تمثيلها للبلاد العربية سياسيا وثقافيا على حد سواء ، وقد آن للجامعة العربية أن تعيد النظر في هذا الأمر ، فليت

في المناضلة بين عشرات الكتب هذه ، رغم أن تاريخ الأدب العربي أقدم من تاريخ الأدب الانكليزي بما لا يقل عن عشرة قرون .

5 - ان المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، ويمكن التخلص من هذه المشكلة بتشكيل لجان دائمة لوضع المصطلحات وجمعها في معاجم وقواميس واحياء بعض المعاجم التي وضعت في بعض الاقطار العربية ولم يقيض لها الانتشار ، فمثلا هناك « المعجم العسكري » الذي وضعه المرحوم عبد المسيح وزير (وطبع طبعة محدودة) بعد وفاته ، وقد جمع بين دفتيه ما ينوف على الـ 12 000 كلمة وعمل فيه من سنة 1922 الى سنة 1942 ، ومع ذلك فهو مجهول عند الكثيرين من المعنيين بالمصطلحات وتعريبها .

وبوسعنا ان ننقل المصطلحات الاجنبية باحدى طريقتين : اما بترجمتها ، اي نقل معناها ، او بتعريبها اي نقلها لفظا ومعنى ، بعد تحويلها اذا اقتضى الامر - حسب مزاج لغتنا ، ولسنا بدعا بين الامم في هذا الشأن ، فقد فعل الاوروبيون الشيء ذاته في القرون الوسطى يوم كانت العربية هي السائدة كلغة للعالم المتمدن يومذاك ، اذ ترجموا مثلا كلمة « جيب » العربية في الثلاث الى كلمة

Sine المشتقة من لفظة Sinus اللاتينية التي تعني « الجيب » ، ولكنهم اخذوا لفظة « الجبر » حرفيا فقالوا Algebra ، وفعل نفس الشيء اجدادنا يوم نقلوا التراث اليوناني الى العربية ، فقالوا : « الارثماطيقى » (الحساب) وجيومطريا (الهندسة) وقاطاغورياس Kategoria (وكانوا يترجمونها احيانا بالقياس) واثالوطيقا (البرهان) وارطوريقا (الخطابة) وما الى ذلك مما هو مذكور في المظان العربية القديمة .

لا تقل دقة عن الفرنسية ، اللغة التي يعتبرها فريق من العلماء ادق واضبط لغة في الدنيا ، كل ما في الامر وجوب اعادة النظر في معاجمنا وقواميسنا وكتابتها بأسلوب عصري جديد واستكمال نواقصها واخراجها من قالبها الكلاسيكي الذي لم تعد له ضرورة بعد ان انتقلت اللغة العربية من لغة الشعر البحت الى لغة تجمع بين الشعر والنثر معا ، فلا لزوم لجعل القواميس على طريقة القوافي التي لا تنفع غير الشعراء وتعقد الامور بلا طائل .

4 - ان العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي كما قلت ، اما المشكلات التي تعترض الاساتذة فاهمها مشكلة عدم لحاق المترجمين بنقل الكتب الاوربية الحديثة الى العربية في حينها ليحدث تفاعل آني بين الفكر العربي والاوربي وليعطى نشاطا جديدا ، ثم ان الاهتمام باصدار معاجم للمصطلحات العلمية متفق عليها في جميع البلاد العربية يكاد يكون معدوما او في حكم المعدوم ، والى ذلك فان الكتب الجامعية العربية ليست بنفس الوفرة كالكتب الجامعية الاوربية ، حتى في مواد الادب العربي والتاريخ الاسلامي . صحيح ان المصادر كثيرة في هاتين المادتين ، ولكن المؤلفات الجامعية العصرية قليلة او نادرة . خذ مثلا على ذلك « تاريخ الادب العباسي » المادة التي اقوم بتدريسها في جامعة بغداد ، فليس هناك كتاب واحد بمستوى جامعي يعتمد عليه في هذا الموضوع . لماذا يهمل المؤلفون حتى موضوعات تراثهم القومي ؟ هذا ما لا يمكنني فهمه ! ولقد قمت مؤخرا بترجمة الفصول التي كتبها البروفسور نكلسن في تاريخ الادب العباسي سدا لجانب من هذا الفراغ ، مع الشروع بتأليف كتاب جديد في الموضوع ، ولكن القضية كان ينبغي ان تبدأ قبل هذا بعهد طويل ، فأنست واجد في تاريخ الادب الانكليزي مثلا عشرات الكتب ، فلا تتولاك الحيرة في البحث عن كتاب في الموضوع قدر ما تتولاك الحيرة